37 - وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل إن ا قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون .

- 38 - وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون .

- 39 - والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات من يشأ ا يض ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم .

يقول تعالى : مخبرا عن المشركين أنهم كانوا يقولون لولا نزل عليه آية من ربه أي خارق على مقتضى ما كانوا يريدون ومما يتعنتون كقولهم : { لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا } الآيات { قل إن ا قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون } أي هو تعالى قادر على ذلك ولكن حكمته تعالى تقتضي تأخير ذلك لأنه لو أنزلها وفق ما طلبوا ثم لم يؤمنوا لعاجلهم بالعقوبة كما فعل بالأمم السالفة كما قال تعالى : { وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفا } وقال تعالى : { إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين } وقوله : { وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم } قال مجاهد : أي أصناف مصنفة تعرف بأسمائها . وقال قتادة : الطير أمة والإنس أمة والجن أمة . وقال السدي : { إلا أمم أمثالكم } أي خلق أمثالكم . وقوله : { ما فرطنا في الكتاب من شيء } أي الجميع علمهم عند ا ولا ينسى واحدا من جميعها من رزقه وتدبيره سواء كان بريا أو بحريا كقوله : { وما من دابة في الأرض إلا على ا رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين } أي مفصح بأسمائها وأعدادها ومظانها وحاصر لحركاتها وسكناتها وقال تعالى : { وكأين من دابة لا تحمل رزقها ا يرزقها وإياكم وهو السميع العليم } وقوله : { ثم إلى ربهم يحشرون } عن ابن عباس قال : حشرها الموت (والقول الثاني) : إن حشرها هو بعثها يوم القيامة لقوله : { وإذا الوحوش حشرت } .

عن أبي ذر قال : بينما نحن عند رسول ا صلى ا عليه وسلّم إذا انتطحت عنزان فقال رسول ا صلى ا عليه وسلّم : " أتدرون فيم انطحتا ؟ " قالوا : لا ندري قال : " لكن ا يدري وسيقضي بينهما " قال أبو ذر : ولقد تركنا رسول ا صلى ا عليه وسلّم وما يقلب طائر جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علما (رواه ابن جرير وأحمد وعبد الرزاق واللفظ لأحمد) وفي الحديث : " إن الجمعاء لتقتص من القرناء يوم القيامة " (راه الإمام أحمد في

المسند) وقال عبد الرزاق عن أبي هريرة في قوله : { إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون } قال : يحشر الخلق كلهم يوم القيامة البهائم والدواب والطير وكل شيء فيبلغ من عدل ا يومئذ أن يأخذ للجماء من القرناء ثم يقول : كوني ترابا فلذلك يقول الكافر : { يا ليتني كنت ترابا } (الحديث روي موقوفا هنا ومرفوعا في حديث الصور) وقوله : { والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات } أي مثلهم في جهلهم وقلة علمهم وعدم فهمهم كمثل أصم وهو الذي لا يسمع أبكم : وهو الذي لا يتكلم وهو مع هذا في ظلمات لا يبصر فكيف يهتدي مثل هذا إلى الطريق أو يخرج مما هو فيه ؟ كقوله : { وتركهم في ظلمات لا يبصرون ... صم بكم عمي فهم لا يرجعون } وكما قال تعالى : { أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل ا له نورا فما له من نور } ولهذا قال : { من يشأ ا يض ومن يشا يجعله على صراط مستقيم } أي هو المتصرف في خلقه بما يشاء